AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

ظاهرة التقديم والتأخير للآيات العقدية من سورة آل عمران: دراسة تحليلية في ضوء نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني

[THE PHENOMENON OF AL-TAQDĪM WA AL-TAʾKHĪR IN THE CREEDAL VERSES OF SŪRAH ĀL ʿIMRĀN: AN ANALYTICAL STUDY IN LIGHT OF ʿABD AL-QĀHIR AL-JURJĀNĪ'S THEORY OF NAẒM]

Muhammad Nur Afiq Aiman Md. Noraffendie & Mohd Shahrizal Nasir

Faculty of Languages and Communication, Universiti Sultan Zainal Abidin (UniSZA), Malaysia

Corresponding Author: *mnafiqaiman@gmail.com*

Received: 3/7/2025 *Accepted: 29/7/2025* *Published: 31/8/2025*

ملخص

القرآن الكريم وحي من الله تعالى الذي أعجزه البشر بأن يأتوا بمثله، وله من أساليب بيانية بليغة تفوق فصاحة العرب وبلاغتهم، ومن أبرزها: أسلوب التقديم والتأخير. فهذا البحث يهدف إلى دراسة هذا الأسلوب في الآيات العقائدية من سورة آل عمران، وتحليلها من منظور بلاغي دقيق. وذلك باستناد إلى ما أتى به عبد القاهر الجرجاني في كتابه الشهير بشأن نظرية النظم وهو دلائل الإعجاز. وعلى هذا الأساس، قرر البحث باعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع مواضع التقديم والتأخير في داخل هذه السورة، ثم قام بتصنيف الأنماط البلاغية التي ظهرت فيها، وبيان الأثر المعنوي لهذا الأسلوب الفريد في تعزيز معاني التوحيد. وتوصل البحث إلى أن هذه الظاهرة الأسلوبية لم تأت في هذه الآيات على شكل عشوائي واعتباطي، وإنما يلاحظ أنها جاءت بدقة مقصودة معينة لتحقيق أغراض بلاغية متعددة مثل التوكيد، والاختصاص وما أشبه من ذلك. وبعبارة أخرى، يؤكد البحث هنا من تواجد انسجام الأسس التي وضعها عبد القاهر الجرجاني خلال فكرته النظمية بحيث يفهم أن تغيير ترتيب الألفاظ أو الكلمات داخل جملة في القرآن حدث ليحقق دلالته العميقة وإعجازه الفريدة.

الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير، عبد القاهر الجرجاني، النظم، علم المعاني، البلاغة

Abstract

The Holy Qur'an is a divine revelation from Allah, which has challenged mankind to produce anything like it. It is composed with eloquent rhetorical styles that surpass the eloquence and rhetoric of the Arabs, one of the most prominent of which is the style of al-taqdīm wa al-ta'khīr. This study aims to examine this stylistic feature within the doctrinal verses of Surah Āl ʿImrān and to analyze it from a precise rhetorical perspective, based on the theory of nazm (order and structure) as presented by ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī in his renowned work Dalāʾil al-Iʿjāz. Accordingly, this research adopts a descriptive-analytical methodology to trace occurrences of al-taqdīm wa al-ta'khīr in the Surah, to categorize the rhetorical patterns therein, and to explain the semantic impact of this unique style in reinforcing the meanings of tawḥīd (monotheism). The study concludes that this stylistic phenomenon does not occur in a random or arbitrary manner within the verses but rather follows a deliberate precision to achieve multiple rhetorical objectives such as emphasis, exclusivity, and others. In other words, the research confirms the coherence of al-Jurjānī's theoretical framework, where the arrangement of words and phrases within Qur'anic sentences serves to actualize their profound meanings and distinctive miraculous nature.

***Keywords**: al-taqdim wa al-takhir, 'Abd al-Qahir al-Jurjani, Nazm, science of meanings, rhetoric*

مقدمة

إن المتأمل الناظر في كلام العرب، يجد أن أسلوب التقديم والتأخير من الظواهر الأسلوبية البارزة نطقا وكتابة، بما أنه حظي بعناية كبيرة في الدراسات القرآنية، فهو يحمل دلالات وأسرار بلاغية دقيقة في إيصال المعنى المراد. وقد قدم عبد القاهر الجرجاني اهتمامه من خلال فكرته المعروفة بـ "نظرية النظم" اهتماما بالغا بهذا الأسلوب بشأن أنه يعتبر أن ترتيب الألفاظ أو الكلمات في سياق جملة ما ليس مجرد فنّ لغوي فاض، وإنما يتجاوز إلى جوهر في بناء المعنى ومظهر من مظاهر الإعجاز القرآني. ينضاف إلى ذلك، فإن سورة آل عمران زخرت بالآيات العقائدية، والتي بيّنت عن صفات الله تعالى وأفعاله، وردّت على الملحدين من أهل الكتاب، وأكدت على وحدانية سبحانه وتعالى. فتنوّعت الأساليب البلاغية التي وظّفتها هذه السورة لإيصال المعاني بشكل مؤثر في نفوس السامعين، وكان من أبرزها هو أسلوب التقديم والتأخير، الذي جاء في مواضع مختلفة من الآيات. ومن هنا، يسعى هذا البحث إلى اكتشاف على أسلوب التقديم والتأخير في الآيات العقدية من سورة آل عمران، وتحليلها تحليلا بلاغيا، في ضوء ما قرّره عبد القاهر الجرجاني في نظريته حول النظم، للكشف عن الأبعاد والأسرار البلاغية وراء هذا الترتيب البياني الفريد.

مشكلة البحث

يعد الإلمام بأسلوب التقديم والتأخير أمر بالغ الأهمية لأنه أسلوب فصيح يستخدمه العرب شعرا ونثرا لإبراز عن مقصد ما بأفضل (محمد حاج إبراهيم، ٢٠١٠م) ولاسيما النصوص القرآنية – كلام الرحمن– التي تتناول عدة القضايا وخاصة ما يتعلق بالعقيدة. وعلى أساس ما يلحظ به

البحث، فإن الدراسات التي تناولت واهتمت بهذه الظاهرة تكاثرت من منظور بلاغي عام (جواهر علي، ٢٠٠٩م)، إلا أن قليلة منها جاءت بدورها تدور حول ما تناوله عبد القاهر الجرجاني. وفضلا عن ذلك، يلاحظ البحث كثيرا ما يدقق في سورة من سور القرآن بأكملها دون التركيز في موضوع معين وفي سورة معين.

ومن الملاحظ في سورة آل عمران هي سورة تناولت قضايا تتلاءم بما حدثت في العصر الحاضر (مقري، ٢٠١٦م) لا تخطئ نظر البحث أهمية الملاحظة والتأمل الخالص فيما جاءت به هذه السورة من الأسرار. وعلى هذا الأساس، يرى البحث من الأهم بمكان أن يجعلها مجالا خصبا للتأمل البلاغي واستخراج أسرار النظم القرآني فيها، ويكشف عن دقّة التوجيه المعنوي ورهافة المقصد العقدي. ومن هنا، ينبثق اهتمام البحث إعادة النظر بشأن هذه الظاهرة الأسلوبية والسعي إلى سد فجوة معرفية قائمة في هذا المجال.

أهداف البحث

بناء على تلك المشكلة البحثية، يرى أن هذا البحث يهدف إلى تحقيق عدة أهداف رئيسة، ولكن أبرز منها فهي كما في الآتي:

١) التعريف عن مواضع التقديم والتأخير في الآيات العقدية من سورة آل عمران، وتحديد السياقات التي وردت فيها هذه الظاهرة البلاغية.

٢) تحليل الأنماط البلاغية لأسلوب التقديم والتأخير كما تجلّت في الآيات المفلترة تحليلا بلاغيا.

٣) بيان عن تأثير أسلوب التقديم والتأخير في تعزيز معنى العقيدة على الآيات في سورة آل عمران في ضوء فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

أسئلة البحث

أما الأسئلة التي تثيرها مشكلة هذا البحث فهي تبدو كثيرة، ولعل من أبرز ما توصل إليها البحث هي:

١) ما المواضع التي ورد فيها أسلوب التقديم والتأخير في الآيات العقدية من سورة آل عمران؟

٢) ما الأنماط البلاغية التي يتجلى فيها أسلوب التقديم والتأخير في سورة آل عمران؟

٣) كيف يؤثر أسلوب التقديم والتأخير في تعزيز معنى العقيدة على الآيات في سورة آل عمران في ضوء فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني؟

الدراسات السابقة

اطّلع البحث على عدد من الدراسات السابقة التي تتقاطع بموضوع هذا البحث. ومن أبرزها دراسة لجواهر علي بن صالح الحمادي في بلاغة التقديم والتأخير في سورة آل عمران (٢٠٠٩). وهذا البحث على حسب اطلاع البحث، يعد من أقرب الدراسات صلة بموضوع البحث الحالي. فإنه تناول دراسة مكتبية حول أسلوب التقديم والتأخير في سورة آل عمران باعتماد على المنهجين الاستقراء والتحليل. فيتركز البحث تدقيقا في ترتيب الجمل داخل هذه السورة، مع شرح بإيجاز عن الأثر البلاغي والدلالي لهذا الأسلوب. ومن هنا، يستفيد البحث من هذا العمل في رغبته لتوسيع دائرة التحليل، أنه لا يذهب إلى تحديد المواضع وشرحها فحسب، وإنما سيتناول ما هو لبيان الآثار أو الأسرار البلاغية لهذا الأسلوب في السياق العقدي تحديدا.

وإضافة إلى ذلك، يلاحظ لإحدى المقالات العلمية لمحمد بن حاج إبراهيم في إثراء موضوع علم المعاني في بلاغة التقديم والتأخير في سورة الكهف: دراسة بلاغية تحليلية وتطبيقية على منهج عبد القاهر الجرجاني (٢٠١٠). ومن اللافت للنظر، أن المؤلف اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي بحيث يبدأ بتأصيل المفهوم اللغوي والبلاغي للتقديم والتأخير مع تناول رؤية عبد القاهر الجرجاني من خلال استعراض مختصر لأقواله مع تطبيقات بلاغية للآيات من سورة الكهف. وعلى أساس ما فهمه البحث هنا من هذا البحث في إبراز أهمية الاعتماد على كتب عبد القاهر الجرجاني الأصلية، غير أن مؤلفه لم يستعن كثيرا بتفاسير القرآن في شرح المعاني. وهذا أمر بالغ الأهمية عند التعامل مع سياق الآية للكشف عن أسرار بلاغية وراء هذا. وهذا ما سيسعاه البحث في بحثه هذا، باعتماد على ثلاثة كتب التفاسير المعتبرة مثل الكشاف للزمخشري، وصفوة التفاسير للصابوني، والتفسير المنير للزحيلي، بهدف تحقيق الفهم المتكامل بين سياق الآيات وبلاغتها الفريدة.

ومع ذلك، توفرت أيضا دراسة من قبل المقالات العلمية لمحيي الدين بن عمار عن أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم: الأنماط النحوية والدلالات البلاغية (٢٠١٧)، التي اعتمد مؤلفها على المنهج الوصفي التحليلي. يكتشف أن المؤلف يقسم دراسته إلى قسمين: الأول تأصيلي نظري حول الظاهرة، والثاني تطبيقي على بعض الآيات القرآنية. ففي ملاحظة البحث رغم أهمية هذا العمل في إبراز التنوع الواسع في أنماط التقديم والتأخير، إلا أنه لا يتركز على منهج عبد القاهر تحديدا. فيستعرض آراء متعددة حول أسلوب التقديم والتأخير وكما أن كثيرا من أمثلته، تتجاوز النطاق الذي تناوله عبد القاهر الجرجاني وهو النظم أصلا. ومن هنا، ليس من المبالغ إذا يزعم البحث أن بحثه الحالي سيركز على ما ورد في كتابه وهو دلائل الإعجاز ثم يقصر التحليل على آيات العقيدة في سورة آل عمران تحقيقا لأكثر منهج في التركيز على هذا الشأن.

التقديم والتأخير في البلاغة العربية والقرآن الكريم

إن الكلام يتألف من كلمات، بحيث إنها لا تنطق دفعة واحدة، بل له ترتيب وضعي يجب مراعاته حتى يتضح المعنى من سياق هذه الكلمات (محمد حاج إبراهيم، ٢٠١٠م). فإن الناظر في قواعد اللغة العربية، يلاحظ أن المسند إليه يكون رتبته التقديم على الأصل لأنه محكوم عليه، وبينما المسند فيكون رتبته التأخير لأنه محكوم به. وتفصيل هذه الفكرة، يمكن البحث القول بأن كل لغة لها ترتيب أساسي يجب أن يراعيه المتكلم في كلامه كرمز أساسي في تناول المعنى المراد، لأن الكلمات بمفردها الجامد لا تبث منها فائدة تامة. ولذلك، فلا بد من رتبة مرعية في جملة ما حتى يكون المعنى واضحا (محمود أحمد نحلة، ١٩٩٠م).

فهنا شيء مهم لا بد من إعادة النظر. يرى البحث في بعض أقوال البلاغيين المعاصرين بشأن أسلوب التقديم والتأخير، يجد أنه هو أكثر بابا اهتموا به في دراستهم لاكتشاف ما يكمن وراءه من دقائق وأسرار بلاغية في النظم العربي وبخاصة القرآن الكريم (فيود، ٢٠١٥م). فإن عملية تقديم أجزاء الجملة تارة وتأخير تارة أخرى، تستفاد عندما يكون تغيير المتكلم في كلامه استحقاقا ومراعاة للاختلاف في المعنى الذي أراد إيصاله (عباس ٢٠١٨م). وعلى هذا الأساس، فإن تصريح عبد القاهر الجرجاني في أول بابه بشأن الأسلوب هو مليء بالفوائد والجمالات المتكاثرة، فإنه أيضا يكشف عن أشياء جديدة وجميلة، ويقود إلى اكتشافات دقيقة ولطيفة شعرا ونثرا (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). ومن هنا يؤكد البحث أن علم البلاغة، أو المعاني على وجه الخصوص، علم لا يستغني عن الاكتشافات والابتكارات المستمرة، فإن التغييرات في ترتيب الكلمات تقديما وتأخيرا، يمكن أن تترك الآثار في نفوس المخاطبين مع تغيير انطباعهم عند سماع فصاحة ودقيق هذا الأسلوب.

ولا يظن البحث أنه يبالغ في القول في شأن كلام الله عز وجل، فإنه معجز على كلام المخلوقين حتى فصحاء العرب -شعرا ونثرا- لا يعد يستطيعون إضاهة فصاحته وبلاغته العليا. ولذلك قال جل وعلاه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٨]. ومثل ذلك ظهرت في القرآن الكريم وظائف بلاغية كأسلوب التقديم والتأخير الذي جاء لتحقيق مقاصد بيانية عظيمة مثل التوكيد والاختصاص كما قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [سورة الفاتحة: ٥]. والملاحظ هنا في كلام الناس أنه قد يصوب المعنى أحيانا ويخطئه أحيانا أخرى، بخلاف القرآن الكريم الذي جاء على نسق بيان محكم لا يتخلله نقص ولا اضطراب.

وصفوة القول، إن أسلوب التقديم والتأخير قد أكد أهمية هذه الظاهرة اللغوية ودورها في تحقيق دلالتها البلاغية، ولا سيما في كلام الله جل جلاله بشأن آيات العقيدة والتوحيد. ينضاف إلى

هذا، أن دراسة التقديم والتأخير يمكن أن يعتبرها من المفاتيح المهمة لفهم أسرار النظم في النصوص العربية، وخاصة آيات القرآن الكريم.

التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني

كان عبد القاهر الجرجاني هو من أوائل البلغاء الذين درسوا هذه الظاهرة دراسة نظرية عميقة في إطار فكرة النظم، فيجعل دراسته ترتبط بفحص معنى المعنى للجملة. ومن جانب ذلك، اعتبر هذا الأسلوب جزءا ومظهرا من إعجاز القرآن الكريم. وإن الناظر إلى قول عبد القاهر الجرجاني بشأن هذا الأسلوب وخصائصه وفوائده، يجد أنه جاء يقسمه إلى الوجهين بما أنهما يعتبران مطردين في كلام العرب، وهما تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

وفضلا عن ذلك، يجد البحث من ضمن ما وضعه عبد القاهر الجرجاني بشأن هذا الأمر أنه يتمحور حول الأبواب الأربعة وهي الاستفهام، والنفي، والإثبات، والتنكير. فكل باب من الأبواب يخضع لسر بلاغي عميق يقتضي السياق والمقام في توجيه المعنى. (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). وإن صح هذا القول، تيسر للبحث عرض هذه الأبواب الأربعة وإدراج الآيات القرآنية التي تتمثل عقائدية كما سيأتي.

منهجية البحث

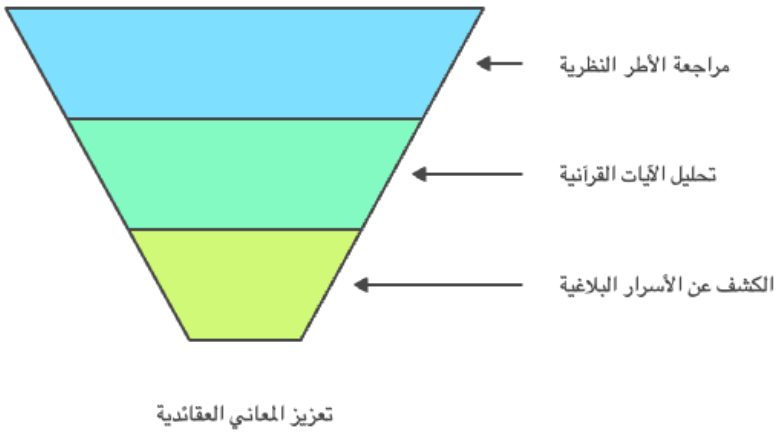

رسم توضيحي ١: منهجية البحث

ومن طبيعة البحث تقتضي تضافر مجموعة من المناهج البحثية لاستقصاء مادة الموضوع وتحليلها. أما هذا البحث، فيعتمد على المنهج الوصفي التحليلي كما سار عليه محيي الدين عمار (٢٠١٧م) من زاوية نظرية مختلفة على أساس ما ينوي به البحث وصف أسلوب التقديم والتأخير

في الآيات القرآنية في السياق العقدي من سورة آل عمران. وذلك من خلال تحديد المفهوم، واستعراض الأطر النظرية التي تم قررها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بشكل مفصّل. ومن الجدير بالذكر، هذا يمكن أن يدل على الاختلاف البيّن تركيز البحث لأسلوب التقديم والتأخير من جانب آخر وهو في ضوء فكرة النظم بخلاف ما سارت عليه الدراسة السابقة. وفضلا عن ذلك، يسعى البحث أيضا إلى وصف الآيات القرآنية في سورة آل عمران التي تتناول الجانب العقدي خصوصا دون الآخرى من الآيات فيها اعتمادا على التفسير المنير للزحيلي نظرا لما امتاز به من عرض موضوعي منسق للآيات. ومن هنا، يمكن أن يتيسر للبحث تحديد الموضوع الملائم للآيات العقدية في سورة آل عمران.

ثم يتبع بعد ذلك، يسعى البحث إلى جانب تحليل دقيق للآيات القرآنية من سورة آل عمران (جواهر علي، ٢٠٠٩م) التي تم فحصها للكشف عن الأسرار البلاغية إثر التقديم والتأخير. والملاحظ، أن البحث يأتي بدوره يكتشف عن الأسرار البلاغية للآيات في سورة آل عمران من خلال ما أدرجه عبد القاهر الجرجاني تقديما وتأخيرا في ضوء فكرة النظم. وبالإضافة إلى ذلك، يسعى إلى الاعتماد على بعض كتب التفسير مثل صفوة التفاسير للصابوني والتفسير المنير للتأكد على المعاني العامة للآيات بما في ذلك أنها تتوافق بما وضعه عبد القاهر الجرجاني. ومن هنا، يمكن أن يتضح البحث دوره في بيان دقة هذا الأسلوب وكذلك أثره في تعزيز معاني العقيدة في النفوس.

النتائج والمناقشة

المبحث الأول: الأساس النظري لأسلوب التقديم والتأخير في ضوء نظرية النظم

أولا: التقديم والتأخير في باب الاستفهام

إن المتتبع لكلام عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، كان يبدأ بعرض ما هو شائع في كلام العرب وهو أن يستفهم السائل بالهمزة دون سائر الأدوات لأنها أم الباب (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). بناء على تفصيله في هذا الباب، فإنه يحتوي على المحورين اللذين ميزهما دلالة زمنية الماضي والمضارع.

١) الاستفهام بالهمزة والفعل ماض

والملاحظ أنه إذا قُدّم الفعل على الفاعل، فالغرض البلاغي هو تقرير الفعل نفسه دون تردد في وقوعه، كأن يعلم السائل مسبقا بوقوع الفعل، ولكنه يوهم المسؤول بعدم العلم ليحمله على الإقرار. ومثل ذلك قوله: "أفعلت؟". أما إذا قُدّم الفاعل على الفعل، فيكون بمثابة التقرير بالفاعل نفسه، والتردد موجه فيمن قام بالفعل، لا في الفعل ذاته. وكما في قوله: "أأنت فعلت؟" (عبد القاهر

الجرجاني، ١٩٩٢م). وفضلا عن ذلك، وقد يشتمل الاستفهام دلالات أو أسرار أخرى كـ الإنكار التوبيخي، فيكون إذا وقع الفعل، ولكن قصد به تسخير شأن الفاعل. وكذلك الإنكار التكذيبي، فيكون إذا لم يقع الفعل أصلا وكان الهدف نفي نسبة الفعل إليه (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). واللافت إلى أكده السديس فيما وضعه عبد القاهر الجرجاني عن حالة نادرة، وقد ينكر فيها الفعل رغم أن يقدم الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [سورة يونس: ٥٩]. فالتقديم على الفعل يؤكد إنكار الادعاء بنسبة الفعل إلى الله زورا (أحمد السديس، ١٤٣٧هـ).

ومن الآيات التي تندرج تحت هذا الباب من أسلوب التقديم والتأخير وهي كما في الآتي:

جدول ١: آيات التقديم والتأخير في باب الاستفهام والفعل ماض

رقم الآية	الآية	السر البلاغي
٢٥	﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	التقرير والإنكار التوبيخي
٨١	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾	التقرير
١٤٤	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾	التقرير والإنكار التوبيخي

٢) الاستفهام بالهمزة والفعل مضارع

والملاحظ في تفصيل ما يكون بالفعل المضارع، فيمزه بين دلالاته الزمنية من حيث الحال أو الاستقبال. وفي تقديم الفعل على الفاعل في سياق المضارع الحالي يدل غالبا على التقرير، كما أشار في كتابه: "أتفعل؟". أما إذا قُدّم الفاعل على الفعل، كما في "أأنت تفعل؟"، فالغرض يكون توجيه التقرير إلى الفاعل بذاته، أو إنكار فعله توبيخيا، بحسب سياق المقام (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). وهذا من جهة.

ومن جهة أخرى الذي يدل على المستقبل، فقد ربطه بالإنكار التكذيبي، ومثله بقوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، و ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [سورة الزخرف: ٤٠]،

فيفيد من تقديم الفعل أو الفاعل هنا في مثل هذه السياقات، التشكيك في إمكانية وقوع الفعل في المستقبل وتكذيبه (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). وكذلك في حالة تقديم المفعول به على الفعل في سياق الاستفهام، وهو ما يظهر إنكارا موجها نحو المفعول به. ومن شواهده قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [سورة الأنعام: ١٤]، بحيث فهم من تقديم "غير الله" ليعزز دلالة الإنكار مع استحالة الوقوع.

ويتّضح هنا أن لتقديم الفاعل على الفعل في باب الاستفهام دلالة بلاغية دقيقة بجانب ما تقدم إذا كان الغرض منه الإنكار. ومن هنا، صنّف هذا النوع من الاستفهام إلى ثلاث حالات رئيسة التي تتمثل مقام المخاطب والمتكلم (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م):

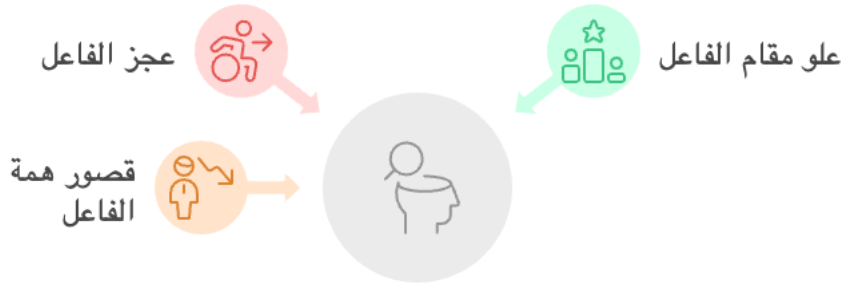

رسم توضيحي ٢ : غرض تقديم الفاعل

١) عجز الفاعل عن الفعل: أن تقديم الفاعل على الفعل يفيد إنكارا تكذيبيا لادّعاء لا يمكن تحققه، إذ يستبعد أن يكون الفاعل قادرا على الفعل في مثل: "أأنت تمنعني؟". وتضيف بعض الدراسات أن التقديم هنا يفيد أيضا التحقير (إبراهيم شادي، ٢٠٢٢م).

علو مقام الفاعل عن الفعل: أن تقديم الفاعل هنا لإبراز دهشة أو استنكار السائل من نسبة فعل دنيء إلى شخص رفيع المقام، كما في قول السائل: "أهو يسأل فلانا؟"، وهو أسلوب يدل على تنزيه الفاعل عن الفعل، والثناء عليه.

قصور همة الفاعل: هذه الحالة تبرز تقديم الفاعل لغرض التوبيخ، كما في قول السائل: "أهو يسمح بمثل هذا؟"، ويراد بذلك تأكيد عدم أهلية الفاعل لهذا الفعل بسبب ضعفه أو قلة رغبته في الخير، ويؤكد البحث أن يأتي الاستفهام هنا محملا بالذم.

٢) ومن الآيات التي تندرج تحت هذا الباب وهي كما في الآتي:

جدول ٢: آيات التقديم والتأخير في باب الاستفهام والفعل مضارع

رقم الآية	الآية	السر البلاغي
٨٠	﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	التقرير والإنكار التكذيبي
٨٣	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	التقرير والإنكار التكذيبي
١٠١	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	التقرير والإنكار التوبيخي

ثانيا: التقديم والتأخير في باب النفي

ويلاحظ إلى ثلاثة محاور رئيسة تناولها الباب، وهي: محور الفعل والفاعل في الجملة المنفية، محور الفعل والمفعول أو المتعلقات الأخرى، ومحور المحدّث عنه في الخبر المنفي. ففي حالة تقديم الفعل على الفاعل، مثل قول القائل: "ما فعلتُ!" أو "ما ضربتُ زيدا!"، فإن المقصود هنا هو نفي وقوع الفعل عن المتكلم فقط دون استبعاد إمكانية وقوعه من طرف آخر. وبهذا يكون النفي غير مقصور على عموم الفعل، وإنما موجه إلى علاقة الفعل بالفاعل نفسه (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

أما إذا قدّم الفاعل على الفعل كما في نفي القائل: "ما أنا فعلتُ!"، فإن المعنى يختلف تماما. فيُثبت وجود الفعل لكنه ينفي نسبة المتكلم إليه على وجه الخصوص، ويلمّح إلى أنه وقع من غيره (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). وباستخدام هذا الأسلوب يتحقق القصر البلاغي، أي نفي الفعل عن فاعل معين وإثباته لغيره (أحمد السديس، ١٤٣٧هـ). وقد جاء مثل هذا المعنى في قولهم: "ما أنا ضربتُ زيدًا!"، أي أن الضرب قد وقع أصلا، ولكن من غير المتكلم. ويُلاحَظ هنا اعتماد عبد القاهر الجرجاني في أمثلته على الفعل الماضي، غير أن البحث يرى أن القاعدة تنطبق كذلك على الفعل المضارع، وإن لم يُصرِّح بذلك صراحة، نظرا لعمومية المعنى.

وينظر إلى محور آخر في تقديم المفعول به والمتعلقات كالجار والمجرور أو الظرف على الفعل. فإذا تقدم المفعول على الفعل كما في "ما زيدًا ضربتُ"، وذلك يفيد معنى غير معنى في الترتيب الطبيعي وهو تخصيص النفي (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). فالضرب تم وقوعه من المتكلم، ولكن ليس على زيد، وإنما على شخص آخر. ويمتد تفصيله كذلك إلى تقديم المتعلقات مثل

حالة الجار والمجرور، بما أنها تحمل نفس دلالة المفعول به وهو التخصيص (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

ويلاحظ ما في محور ثالث في الخبر المنفي، وهو تقديم المحدث عنه، خصوصا في حالة كونه ضميرا منفصلا يقدّم على الفعل وأداة النفي. وهذا أمر بالغ الأهمية للنظر. ومثل ذلك قولهم: "أنت لا تُحسن هذا"، حيث تقديم الضمير "أنت" يضيف على الجملة قوة في المعنى التي لا تتحقق لو قيل "لا تُحسن هذا" في تأكيد النفي. ومن هنا يؤكد عبد القاهر الجرجاني أن هذا النوع من التقديم يستخدم في الرد على من يدعي قدرة ما لا تليق به، إذ يحمل النفي هنا طابعا من التحدي (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

ومن الآيات التي تندرج تحت هذا الباب وهي كما في الآتي:

جدول ٣: آيات التقديم والتأخير في باب النفي

رقم الآية	الآية	السر البلاغي
٨٤	﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	انتفاء الفعل عموما
١٠٨	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾	التنزيه والتنبيه

ثالثا: التقديم والتأخير في باب الإثبات

بعد أن تناول بالتفصيل لأسلوبي التقديم والتأخير في بابي الاستفهام والنفي، فإنه يؤكد أن ما تحمله الجمل المثبتة من دلالات بلاغية لا يقل أهمية عما في النفي أو الاستفهام (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م). فأشار عبد القاهر الجرجاني في إطار نظره هنا أن تقديم الفاعل على الفعل قد يحمل دلالتين بلاغيتين دقيقتين. وفي النوع الأول من تقديم الفاعل على الفعل، فأشار إلى كون فاعله جليا ومعروفا، ويأتي تقديمه في جملة من أجل التخصيص على الاستئثار بالفعل ونفي مشاركة الغير فيه. فأورد مثالا: "أنا كتبتُ في معنى فلان"، و"أنا شفعتُ في بابه"، فتفيد التراكيب أن المتكلم يريد إثبات أنه هو الوحيد الذي قام بالفعل لا غيره، ويزيل كل شبهة أو زعم بظهور من غيره (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

أما النوع الثاني من تقديم الفاعل على الفعل، فلهدف توكيد المعنى وتنبيه السامع لحقيقة معروفة أو صفة ملازمة للفاعل. فهنا يريد المتكلّم أن يقرر للسامع صفة ثابتة مشهورة للفاعل

دون وجود أي نوع من الادعاء. ومن أمثلة أتاها: "هو يعطي الجزيل"، و "هو يحب الثناء". فيستفاد من التراكيب تأكيد صفة الكرم أو حبّ الثناء على الفاعل، لا حصر الفعل فيه. (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

وفي محور تقديم الخبر على المبتدأ، يؤكد عبد القاهر الجرجاني بمثل قوله جل وعلاه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠]. يفهم أن قوله تعالى يلائم الإنكار والتوبيخ على شر ما اعتقدوه، مؤكدا بأن التأخير يدل دلالة لن يعطي ذات الأثر البلاغي القوي كما في الآية (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

ومن الآيات التي تندرج تحت هذا الباب وهي كما في الآتي:

جدول ٤: آيات التقديم والتأخير في باب الإثبات

رقم الآية	الآية	السر البلاغي
٣	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾	تخصيص فضل الرسول
١٩	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	التأكيد
٥١	﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	التأكيد
٧٩	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ، وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	التأكيد
١٥٨	﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾	التخصيص
١٨٠	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾	التأكيد
١٩٠	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	التأكيد

رابعا: التقديم والتأخير في باب التنكير

يقسم عبد القاهر الجرجاني هذا الباب إلى مجالين، تقديم النكرة في الاستفهام وتقديم النكرة في الخبر المثبت. ويُبيّن أن تقسيمه هذا يبنى على دقة نظره وتصنيفه وتنظيم أقواله. فيبدأ بتحليل تقديم النكرة في الاستفهام تمهيدا لتوضيح القواعد الأساسية نفسها التي تنطبق لاحقا في مجال تقديم النكرة في الخبر.

ويلاحظ مما ينوّهه عبد القاهر الجرجاني بشأن أهمية تقديم النكرة في جملة، بدءا من الاستفهام مرورا بالخبر، أن هذا الأسلوب لا يخلو من هدف وهو تحديد جنس الفاعل أو تصحيح اعتقاد السامع حوله، والبيان كما في الآتي:

١) تقديم النكرة في الاستفهام

ففي صياغة مثل" :أرجل جاءك؟"، يفيد تقديم النكرة (رجل) رغبة السائل في تحديد جنس الفاعل (رجل أو امرأة)، خاصة حينما يعلم بأن الفعل وقع، ولكنه غير متأكد من هوية الفاعل أصلا (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

٢) تقديم النكرة في الخبر

وأما عند تقديم النكرة في الخبر، فيكتسب هذا الأسلوب أهميته عندما ينطبق على مخاطب سبق أن علم بوقوع الفعل، ولكنه شكّ في جنس الفاعل. ومن أمثلة على ذلك: "رجل جاءني" لتصحيح اعتقاد المخاطب بأن المجيء من امرأة، "رجل طويل جاءني" لتوضيح أن المجيء كان طويلا، رغم ظنه بخلاف ذلك (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٩٢م).

بناء على ملاحظة البحث من خلال سورة آل عمران، لم يجد -على حسب اطلاعه- آية من آياتها التي تعكس باب التنكير لأسلوب التقديم والتأخير في موضوع العقيدة. ومع ذلك، فإنه لا ينفي احتمال وجود هذا الأسلوب البلاغي في سورة أخرى من سور القرآن الكريم التي قد يظهر في سياقات تختلف دلالاتها ومقاصدها البيانية.

المبحث الثاني: الأثر الدلالي والبلاغي للتقديم والتأخير في تعزيز المعاني العقدية في ضوء نظرية النظم

إن أدوات النظم البلاغيّة المؤشرة تحتاج إلى تحقيق عن كيفية أسلوب التقديم والتأخير يستثمر لإيصال الرسالة العقائدية بوضوح ومؤثر. ومن هنا يتبلور هدف هذا المبحث في تقديم تحليل

منهجي يربط بين النظم البلاغي والبنية العقدية من الآيات في سورة آل عمران لبيان كيف بإعادة ترتيب الألفاظ تمثل سرا من أسرار الإعجاز الذي يتجاوز حدود البيان إلى نطاق التأثير النفسي والروحي.

والملاحظ في قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه... وهم لا يظلمون﴾، تُقدَّم فيها الفعل الماضي "جمعناهم" في سياق الاستفهام تقريرا بيوم القيامة ومصير الكافرين، كما يؤكد الزمخشري (١٩٩٨م) والصابوني (٢٠١٦م) أن الاستفهام هنا يحمل دلالة الاستعظام لما يطيبهم من الجزاء الحتمي. أما في الآية ﴿وما محمد إلا رسول... أفإن مات أو قُتل...﴾، فقُدّم فعل "مات" مع الاستفهام بالهمزة ليحقق دلالة التقرير والإنكار على حد سواء، تقرير أن موت الرسول ليس سببا للارتداد، وإنكار ما خطط له بعض المنافقين من رد الفعل السلبي بعد وفاته (الزحيلي، ١٩٩١م؛ والصابوني، ٢٠١٦م).

أما في قوله تعالى: ﴿أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ فيأتي تقديم الفعلين الماضيين "أأقررتم وأخذتم" بعد همزة الاستفهام لتأكيد معنى الإقرار بالميثاق الإلهي لأجرّة الأنبياء وأممهم دون الإنكار كما تقدم (الزحيلي، ١٩٩١م). ويلاحظ فما أكده الصابوني، أن الهمزة تستخدم لتحويل الاستفهام إلى استفهام تقريري، بمعنى: "أأنتم قد اعترفتم بهذا العهد؟" (الصابوني، ٢٠١٦م). وبذلك، فإن التقديم يسلط الضوء بلاغيا على تلك النقطة العقديّة وهو الوفاء بالعهود الإلهية. ويلاحظ البحث أن أسلوب التقديم جاء لإبراز قيمة المعنى العقائدي من وجوب الإيمان والدعوة المتبادلة بين أنبياء الله ورسله بشكل يؤثر في النفس ويعزز القناعة الداخلية لدى المتلقي.

ويمكن أن يلاحظ أيضا في حالة الفعل المضارع التي تتمثل دلالة التقرير والإنكار تكذيبيا من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وكان الصابوني (٢٠١٦م) يؤكد من طابع هذا الاستفهام كأن يقال لهم: "هل يأمركم نبيكم بالكفر؟". وهذا ينفي ويكذب إمكانية دعوة الأنبياء للكفر بعد إيمان أمتهم (الزحيلي، ١٩٩١م). وكذلك يبدو في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، الذي يتوجه لأهل الكتاب مقررا ومكذبا لهم بسبب ابتداعهم دينا غير الإسلام رغم ظهور أدلته (الزحيلي، ١٩٩١م؛ والصابوني، ٢٠١٦م). فتقديم المفعول به في الآية يُسهم في ترسيخ المعنى العقائدي مثل رفض الكفر، والتأكيد على وحدة العبادة، وتعزيز الوعي التوحيدي لدى المتلقي.

والملاحظ في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، تقديم الفعل المضارع "تَكْفُرُونَ" مع الاستفهام الذي يدل على تحوله إلى إنكار توبيخي شديد تجاه المؤمنين الذين يعيشون وسط نزول وحي الله وشخص النبي صلى الله عليه وسلم (الزحيلي، ١٩٩١م). ويرى البحث في هذه الآية سر التقديم هنا

تقرير قطعية الكفر في ظل الأدلة الظاهرة، بما أكد ذلك الصابوني فكأن الله يناقشهم: "كيف تفعلون هذا وأنتم أمامكم كل الأدلة؟" (الصابوني، ٢٠١٦م).

ومن اللافت في الكشف عن الأسرار البلاغية التي تكمن في سياق النفي مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، فتقدم الفعل المضارع "نفرق" مع النفي جاء لانتفاء التفرقة في الفضل بين جميع الرسل. وهذا ما يؤكده الزحيلي أنه يقصد توجيه المسلمين لاحترام جميع الرسل دون تفضيل أو إنكار أحد (الزحيلي، ١٩٩١م). وعلى هذا الأساس، يرى البحث، هذا التقديم يبرز نوعا من القوة الإيمانية والرفعة العقدية في تحقيق وحدة الرسالة الإلهية وتفادي شر الانقسام في الاعتقاد.

ومع ذلك، يلاحظ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ تقديم المفعول به وانشغاله بالضمير الراجع إلى المتقدم يدل دلالة عميقة في التأكيد على أن الدلائل والآيات ما هي إلا الحق، فإن الإيمان بآيات الله واجب، والقرآن الكريم مصدر الهداية الذي لا شبهة فيه يبين الحقائق ويفصل الأحكام (الزمخشري، ١٩٩٨م؛ والزحيلي، ١٩٩١م؛ والصابوني، ٢٠١٦م). فيلحظ أيضا، يتقدم الفاعل "لفظ الجلالة" على الفعل "إرادة الظلم" مع النفي بالاستدلال إلى ما يقوله الصابوني، أنه ما كان الله ليظلم أحدا، بل العكس، فإن الناس أنفسهم يظلمون.

نظرا لآيات الكريمة تشير على سر التخصيص والحصر كما في هذه الآية الكريمة ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾. وقد جاءت لإثبات أن القرآن حق لا ريب فيه، وأنه يتضمن الحجج والبراهين القاطعة، ويصدق ما بين يديه من الكتب المنزلة (الزحيلي، ١٩٩١م؛ الصابوني، ٢٠١٦م). ويُفهم من تقديم الجار والمجرور "عليك" على المفعول به "الكتاب" أنه يدل على تخصيص شرف نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، تكريما له، كما يؤكد عن انحراف الكتب السابقة وبطلان الاعتماد عليها بعد نزول القرآن الكريم. وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، تقديم الجار والمجرور "لإلى الله" على الفعل "تحشرون" لتحذير المؤمنين من التأثر بكلام المنافقين، كما فسرها الزحيلي (٢٠١٥م) والصابوني (٢٠١٦م). كما بيّن الزمخشري (١٩٩٨م) مبينا أن المرجع النهائي هو إلى الله وحده دون سواه. وعليه، يلخص البحث إلى أن هذا التقديم يرسّخ في نفوس المؤمنين يقينا بالبعث والحساب، ويبطِل الشبهات حول مصير المجاهدين، فيعزز بذلك روح الجهاد واليقين بعدالة الجزاء الإلهي.

ويظهر للباحث شواهد تؤكد دلالة وسر التأكيد على الدين المحق عند الله وهو الإسلام وربوبيته سبحانه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، و﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾. فالدين القويم يتجاوز من مجرد الإيمان القلبي ليشمل الطاعة في العقيدة

والعبادة والسلوك كما أكد ذلك الزمخشري والصابوني (الزمخشري، ١٩٩٨م؛ الصابوني، ٢٠١٦م). ويضيف ذلك الزحيلي بأن الإيمان الصادق يتضمن قولا وعملا، ويؤكد على ضرورة توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. وكل من يتبع دينا غير الإسلام فهو من الخاسرين، فإن الفوز في الدنيا والآخرة لا بد من ضمن إطار الإيمان الكامل والطاعة لله وحده (الزحيلي، ١٩٩١م).

وفضلا عن ذلك، يلاحظ تقديم الخبر على المبتدأ مع النفي من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ...﴾. وهو تحذير أهل الكتاب من رفع مقام الرسول وتحويله إلى رب يعبد به. فإن الرسالة والنبوة هي السبيل لنيل الحكمة وتوحيد العبادة لله وحده (الزحيلي، ١٩٩١م؛ الصابوني، ٢٠١٦م). وأمّا في قوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ... لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، فيؤكّد عن عظمة الخلق وقدرة الله تعالى في عيون العاقلين والرّافعين مقارنة بالبهائم، في دلالة واضحة على قدرة الله ووحدانيته (الزحيلي، ١٩٩١م؛ الصابوني، ٢٠١٦م). وعلى أساس ما سبق، يشير التقديم في كلا الآيتين إلى تأكيد احترام مكانة الرسل في الأولى وإثبات قدرة الله وعظمته في الثانية من خلال دعوتهم لعبادة الله الواحد في الدنيا والآخرة.

خاتمة

وخلاصة القول، استطاع هذا البحث الوجيز أن يلخص دراسة أسلوب التقديم والتأخير في ضوء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني محللا للآيات العقدية في سورة آل عمران اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي. والبحث يجد في تحليل عبد القاهر الجرجاني لهذا الأسلوب يتلاءم ما قرره في نظريته. فقد قسمه إلى أربعة أبواب وهي الاستفهام، النفي، الإثبات، التنكير، بما أن كل باب يحمل سرا بلاغيا دقيقا إثر عملية ترتيب الألفاظ والكلمات في النظم القرآني. وعلى نسق ما قرره عبد القاهر الجرجاني، أجرى البحث التحليل للآيات القرآنية من سورة آل عمران التي تتضمن صورة عقائدية للكشف عن الأثر الدلالي الذي يحدثه التقديم والتأخير في تحقيق المعنى العقدي ودلالته. ومن هنا تبين فيما تقدم، أن هذا الأسلوب هو أداة بلاغية محكمة تخدم مقاصد العقيدة الإسلامية من جهة التوكيد والاختصاص، والتوبيخ، والتقرير، والتكذيب. وكلها تؤدي إلى ترسيخ مفاهيم العقيدة الصحيحة.

REFERENCES

Al-Qur’ān al-Karīm bi al-rasm al-‘Uthmānī. (1985). Kitābah: ‘Uthmān Ṭah. Dimashq: al-Wikālah al-‘Āmmah li al-Tawzī‘. al-Ṭab‘ah al-Ūlā.

al-Jurjānī, Abū Bakr ‘Abd al-Qāhir ibn ‘Abd al-Raḥmān. (1997M). al-Risālah al-Shāfiyah fī I‘jāz al-Qur’ān: Thalāth Rasā’il fī I‘jāz al-Qur’ān, taḥqīq: Muḥammad Khalaf Allāh, Muḥammad Zaghlūl Salām. Miṣr: Dār al-Ma‘ārif.

al-Jurjānī, Abū Bakr ʻAbd al-Qāhir ibn ʻAbd al-Raḥmān. (1992M). Dalāʼil al-Iʻjāz, taḥqīq: Maḥmūd Muḥammad Shākir. al-Qāhirah: Maṭbaʻah al-Madanī bi al-Qāhirah.

al-Ṣābūnī, Muḥammad ibn ʻAlī. (2016M). Ṣafwat al-Tafāsīr. al-Qāhirah: Dār al-Ṣābūnī.

al-Sudays, Aḥmad ibn Ṣāliḥ. (1437H). al-Taqdīm wa al-Taʼkhīr ʻinda ʻAbd al-Qāhir al-Jurjānī fī Kitābayh “al-Asrār” wa “al-Dalāʼil”. Majallat al-ʻUlūm al-ʻArabiyyah, jil. 3, bil. 39, hlm. 231–322.

al-Zuḥaylī, Wahbah al-Zuḥaylī. (1991M). al-Tafsīr al-Munīr fī al-ʻAqīdah wa al-Sharīʻah wa al-Manhaj. Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʻAmr ibn Aḥmad. (1998M). Asās al-Balāghah, taḥqīq: Muḥammad Bāsil ʻUyūn al-Sūd. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

ʻAbbās, Faḍl Ḥasan. (2018M). al-Balāghah Funūnihā wa Afnānuhā: ʻIlm al-Maʻānī. al-Urdun: Dār al-Nafāʼis.

ʻAmmār, Muḥyī al-Dīn. (2017M). al-Taqdīm wa al-Taʼkhīr fī al-Qurʼān al-Karīm: al-Anmāṭ al-Naḥwiyyah wa al-Dalālāt al-Balāghiyyah. Majallat al-Lughah al-ʻArabiyyah wa Ādābihā, jil. 5, bil. 1, hlm. 12–37.

Fayūd, Basyūnī ʻAbd al-Fattāḥ. (2015M). ʻIlm al-Maʻānī: Dirāsah Balāghiyyah wa Naqdiyyah li Masāʼil al-Maʻānī. al-Qāhirah: Muʼassasat al-Mukhtār.

Jawāhir bint ʻAlī ibn Ṣāliḥ. (2009M). Balāghat al-Taqdīm wa al-Taʼkhīr fī Sūrat Āl ʻImrān, risālah mājistīr, al-Riyāḍ: Jāmiʻat al-Imām Muḥammad ibn Suʻūd al-Islāmiyyah.

Shādī, Muḥammad Ibrāhīm ʻAbd al-ʻAzīz. (2022M). Sharḥ Dalāʼil al-Iʻjāz. Miṣr: ʻĀlam al-Thaqāfah li al-Ṭibāʻah wa al-Nashr wa al-Tawzīʻ.

Maḥmūd Aḥmad Naḥlah. (1990M). ʻIlm al-Maʻānī fī al-Balāghah al-ʻArabiyyah. Bayrūt: Dār al-ʻUlūm al-ʻArabiyyah li al-Ṭibāʻah wa al-Nashr.

Muḥammad Ḥāj Ibrāhīm. (2010M). Balāghat al-Taqdīm wa al-Taʼkhīr fī Sūrat al-Kahf ʻalā al-Manhaj ʻAbd al-Qāhir al-Jurjānī. Maʻālim al-Qurʼān wa al-Sunnah, jil. 5, bil. 6, hlm. 190–226.

Muqri, Muʻādh Murād. (2016M). *al-Naṣṣ al-Qurʼānī wa-Balāghat al-Adāʼ: Uslūb al-Iltifāt fī Sūrat Āl ʻImrān*. Majallat Ishkālāt fī al-Lughah wa-al-Adab, jil. 5, bil. 1, hlm. 148-160.